الحبس قد فعلت برجل مثل أبي حمدان ، لعله قد غرق في النسيان ، ولعله حين قطع أواصره بالعالم ، وهم يقتادونه الى ما حسب انه قبره طوال العمر ، فطلق امرأته ، ونسي ولده ، وغرق في وحدته المضجرة ، انما عود نفسه على أن يحتقر العالم ، وليس بوسعك ان تفعل ذلك الا اذا روضت نفسك على اليأس منه الى حد القطيعة معه ، وهي الحيلة التي يلجأ اليها السجناء كي لا يموتوا من الحزن في وحشتهم وبعدهم عن العالم ..

فكيف تراه ينظر الى هذا العالم ، والى الناس ، والى كل المعاني البسيطة التي تشغلنا وتشغل رجلا مثل أبي قيس ؟ أتراه يستطيع أن يخرب حمدان أو يزرع في شبابه غيوم اليأس من هذا العالم ؟

قلت أخيرا ، كي أخفف على حمدان :

ـ لا ريب ان اباك يسخر من كل شيء ، وهو يرى ان قضية ابي قيس لا تستحق كل ذلك ... بشرفك ، ألم يضحك عليك ؟

وبعد هنيهة جاءت الدهشة التي توقعتها ، في صوت حمدان :

ـ كيف عرفت ؟ قل لي كيف عرفت ؟

ـ ذلك شيء متوقع ..

ـ ربما ، ولكنك لا تعرف ! لقد تغير والدي كثيرا ، كثيرا جدا . السجن غيره ، وهو ليس كما كنت أتوقع ...

ـ ماذا تعني ؟

وأخذ حمدان يتأتىء ، مترددا ، فعرفت انه لا يستطيع التعبير على وجه الدقة عما حدث ، فتركته يفكر ، وقد اختار جملة أو جملتين ، على أنه عاد فتوقف في منتصف كل منهما والتجأ الى الصمت . وأخيرا قذف عبارة مختصرة دفعة واحدة وكأنه كان يخاف أن يغير رأيه :

ـ لقد تعلم السياسة في الحبس !

وخيم صمت طويل بعض الشيء ، ميزته فيه ذلك النوع من السكون الذي اعتدت أن ينشأ بيني وبين ابو قيس . ذلك الصمت الذي يدوي فيه صوت الانتظار ، وكان هذا النوع من الصمت نادر الحدوث بيني وبين حمدان ، وأخيرا عاد حمدان الى الحديث :

ـ انه طوال الوقت يتحدث عن رجل كان سجينا معه ، تارة يقول انه رفيق ، وتارة يقول انه مناضل . وكل شيء له معنى عنده ، ويستجر حديثا طويلا ، وحين شرحت له ما حدث بين مصطفى وبين أبو قيس ضحك وقال ان مصطفى من «جماعة الطق طق» ..

ـ « جماعة الطق طق » ؟

ـ اي نعم . قال « جماعة الطق طق » ، اي أولئك الذين يختارون من بين كل المتاعب بند « الطق طق » ..

ـ ماذا يعني « بالطق طق » ؟

ـ يعني القواص . يقول ان اطلاق الرصاص نوعان ، نوع يسميه « الطق طق » ، ونوع يسميه السياسة ... وهو يقول ان مصطفى من « جماعة الطق طق » ..

ـ لم أفهم شيئا ..

ـ وانا لم افهم ، والظاهر انني اخطأت حين قلت له انك انت الذي ستطيع أن تفهم